الجامعة المستنصرية 1

كلية الآداب – قسم اللغة العربية

استاذ المادة : د .ندى سالم عيدان الطائي

اسم المادة : النقد العربي القديم

اسم المحاضرة : تمهيد في معنى النقد

تسلسل المحاضرة :الاولى والثانية والثالثة

المرحلة :الثالثة

لا شك أن النقد هو فن دراسة العمل الأدبي، لمعرفة جيده من رديئة وذلك بتحليله وتفسيره وتقدير قيمته الفنية. وقد ظهر عند العرب منذ العصر الجاهلي، ولكنه كان يدور في فلك " الانطباعية الخالصة والأحكام الجزئية التي تعتمد المفاضلة بين بيت وبيت أو تمييز البيت المفرد أو إرسال حكم عام في الترجيح بين شاعر وشاعر" ([[1]](#footnote-1)).

وعليه فالنقد الانطباعي كان في المراحل المبكرة للنقد العربي، فيا ترى ما مفهومه وما خصائصه ؟

**مفهوم النقد الانطباعي:**

هو نقد يصدر من شخص تحت تأثير الانطباعات الأولية السريعة الذوقية أو المزاج الخاص الفردي، ولم يصدر عن تفكير عميق وتأمل ودراسة معمقة، كما يكون هذا النقد أحكاما جزئية عامة سريعة غير معللة، يصف فيها الناقد النص ولا يبين الأسباب التي دفعته إلى ذلك.

ويتميز هذا النوع من النقد بالسذاجة والبساطة والمبالغة في إصدار الأحكام، لأنه مبني على الانفعال والتأثر والنظرة العجلى، ولم يبن على قواعد وأسس علمية صحيحة اتفق عليها العلماء.

هذا والمتتبع للنصوص النقدية العربية منذ النشأة يراها " بسيطة، حيث كان الناقد يعتمد على ذوقه وانطباعه الفطري، يوجه نقده للشعر في كلمة أو جملة تجاه بيت أو عدة أبيات كانت قد تركت في نفسه أثرا معينا، لان الانطباع البسيط فطري في الإنسان"([[2]](#footnote-2)).

كما نجد هذا النوع من النقد يتجسد في عبارات كثرت في ذلك العصر (بداية النقد) كأن يقول الناقد: هذا أشعر بيت، هذه أجمل قصيدة، أشعر الجن والإنس... وغيرها.

**نماذج من نصوصه:**

\* من صور النقد الانطباعي ما يكون ملاحظات سريعة جزئية تعتمد على الذوق والسليقة، و من ذلك مثلا:"مر المسيب بن علس بمجلس قيس بن ثعلبة فاستنشدوه فأنشدهم ،فلما بلغ قوله:

وَقَدْ أَتَنَاسَى الهَمّ عِنْد إذكاره بِناجٍ عليه الصّيْعرية مُكدَمِ

فقال طرفه وهو صبي يلعب مع الصبيان: استنوق الجمل([[3]](#footnote-3))، وهو يريد أن الشاعر وهو يصف الجمل ذكر من أوصافه ما يخص الناقة (الصيعرية)، وهي سمة تكون في عنق الناقة لا في عنق الجمل. وقد استعملها المسيب استعمالا خاطئا.

\* ومن ذلك ما يروي أنه: " كان النابغة الذبياني تضرب له قبة حمراء من أدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها. فكان أول من أنشده الأعشى: ميمون بن قيس، أبو بصير، ثم أنشده حسان بن ثابت الأنصاري:

لَنَا الجفنات الغرّ يَلْمَعْنَ بالضّحَى وَأَسيافُنا يَقْطُرْنَ من نَجْدَةٍ دَما

وَلَدْنا بَنِي العَنْقاء وابني مُحـرّق فأكْرِم بنا خالا وأَكرِم بنا ابنما

فقال له النابغة: أنت شاعر، ولكنك أقللت جفانك وأسيافك، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك "([[4]](#footnote-4)).

فهذا نقد انطباعي سليقي مبني على الذوق الفطري الذي يمكن صاحبه من تمييز كلام عن كلام وشاعر عن شاعر، والمرجعية التي اعتمد عليها النابغة في قوله: وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك، هي العرف القبلي السائد الذي يفخر بالآباء والأجداد ولا يفخر بالأبناء.

ومن أرقى الأمثلة كذلك ما يروى عن " تحاكم الزبرقان بن بدر وعمر بن الأهتم وعبدة بن الطبيب والمخبل السعدي إلى ربيعة بن حذار الأسدي في الشعر، أيهم أشعر؟. فقال للزبرقان: أما أنت فشعرك كلحم اسخن لا هو انضج فأكل ولا ترك نيئا فينتفع به، وأما أنت يا عمرو فإن شعرك كبرود حبر([[5]](#footnote-5))، يتلألأ فيها البصر فكلما أعيد فيها النظر نقص البصر، وأما أنت يا مخبل، فإن شعرك قصر عن شعرهم وارتفع عن شعر غيرهم، وأما أنت يا عبدة فإن شعرك كمزادة أحكم خرزها ([[6]](#footnote-6)) فليس تقطر ولا تمطر"([[7]](#footnote-7)).

هذه أحكام نقدية عامة مبهمة سريعة وليدة ذوق فطري متعجل، غير مبنية على مقاييس واضحة، وكذا الشأن في أغلب النماذج في العصر الجاهلي فهي تجمع بين الجزئية والتعميم والتعبير عن الانطباع الكلي دون اللجوء إلى التعليل.

* **العصر الإسلامي:**

عند مجيء الإسلام ظهر صراع حول الدين الجديد بين الشعراء وأصبحت الأحكام النقدية تعتمد الصدق والقيم الخلقية. فقد أثر عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه كان يستحسن قول طرفة بن العبد ويتمثل به:

سَتُبدِي لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلا ويأتيكَ بالأخبار من لم تزوّدِ

وكذلك عرف عن عمر بن الخطاب نظرته الموضوعية في الشعر فقد روى ابن عباس رضي الله عنه أن عمر سأله: "أنشدني لأشعر شعرائكم قلت: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير، قلت: ولم كان كذلك؟ قال: كان لا يعاظل بين الكلام،و لا يتتبع حوشيه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه"([[8]](#footnote-8)).

فالنقد في العصر الإسلامي لا يختلف كثيرا عن النقد في العصر الجاهلي في منابعه، فهو يعتمد على الذوق والشعور، وهولا يزال ساذجا بسيطا.

* **العصر الأموي:**

ظهرت بيئات للنقد الحجاز، الشام، العراق، وبرز نقاد كابن أبي عتيق وسكينة بنت الحسين في الحجاز، وبعض اللغويين والرواة في العراق، وبعض الشعراء والخلفاء في الشام. ففي الحجاز يروى أن سكينة بنت الحسين كانت مهتمة بنقد أشعار النسيب، فهي تأخذ عن جرير غلظة ذوقه برده الطيف حين أتاه زائر وقد علقت على قوله:

طَرَقَتْكَ صَائِدة ُالقُلوبِ وليس ذا حين الزيارةِ فارجعي بسلام

وقالت: أفلا أخذت بيدها ورحبت بها وقلت: أدخلي بسلام، أنت رجل عفيف "([[9]](#footnote-9)).

ومن نقد الشعراء لبعضهم البعض ما رواه ابن سلام أن"عكرمة بن جرير حين سأل أباه عن الشعراء، فقال في الأخطل يجيد نعت الملوك ويصيب صفة الخمر"([[10]](#footnote-10)). وحكم الأخطل في جرير بأنه يغرف من بحر، والفرزدق ينحت من صخر.

وعلى الجملة فالنقد في العصر الإسلامي والأموي نما، ولكنه نمو في حدود ما رأينا في العصر الجاهلي، فلا يزال يستلهم الذوق والشعور، ولا يزال نقدا جزئيا " بسيطا غير معقد، ولا يزال الناقد يستوحي وجدانه الخاص، ولا يرجع إلى مقاييس دقيقة"([[11]](#footnote-11)).

وإذا فالنقد لا يزال فطريا غير معلل، يعتمد الذوق الأدبي المرهف لا القواعد وذكر الأسباب، ولم يتخذ النقد في ذلك الوقت صورة الدراسة المنهجية.

**النقد لغة:**

جاء في لسان العرب في مادة (نقد):" النقد خلاف النسيئة، والنقد التنقاد: تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها، أنشد سيبوية:

تَنْفِي يَدَاهَا الحَصَى فِي كُلّ هَاجِرَةٍ نَفْي الدّراهِم تِنْقَاد الصَيارِيف

و قد نقدها ينقدها نقدا وانتقدها وتنقدها ونقده إياها نقدا، أعطاه فانتقدها أي قبضها وناقدت فلانا إذا ناقشته في الأمر.

نقد الطائر الفخ ينقده بمنقاره أي ينقره، والمنقاد منقاره، وفي حديث أبي الدرداء: إن نقدت الناس نقدوك، وإذا تركتهم تركوك، ونقدت الجوزة انقدها إذا ضربتها، ونقدته الحية لدغته".([[12]](#footnote-12))

ويمكن استخلاص معاني كلمة نقد مما سبق كما يلي:

فهي تعني تمييز الدراهم صحيحها من زائفها، وتعني الإعطاء والمنح، وتعني كذلك المناقشة وتعني إظهار العيوب وتمييز الجيد من الرديء وتعني كذلك الإيذاء.

وقد استعارها الباحثون في النصوص الأدبية ليدلوا بها على الملكة التي يستطيعون بها معرفة الجيد من النصوص والرديء والجميل والقبيح وما تنتجه هذه الملكة في الأدب من ملاحظات وآراء وأحكام مختلفة.([[13]](#footnote-13))

وعليه فالنقد تحليل القطع الأدبية وتقدير ما لها من قيمة فنية أو هو المرآة الصادقة التي تعكس نواحي الجمال والحسن في العمل الأدبي، كما تقف على مظاهر القوة والضعف فيه.

**الأدب والنقد:**

من الواضح أن الأدب وجد أولا ثم يوجد نقده " لسبب بسيط وهو أن النقد يتخذه موضوعا له ومن هنا ينشأ الفرق البين بينهما، فالأدب موضوعه الطبيعة والحياة الإنسانية والنقد موضوعه الأدب ".([[14]](#footnote-14))

كما هناك فرق بين تاريخ الأدب والنقد فالأول يتناول كل الآثار العقلية والشعورية عند الأمة متعقبا لها مع دورات التاريخ، أما النقد فلا يحاول هذا التاريخ الكبير إذ حسبه أن يقف عند الأدباء وما صاغوه من أثار فنية ليحللها ويقومها، ومعنى هذا أن تاريخ الأدب يختلف عن النقد من حيث موضوعه وطريقة معالجته.([[15]](#footnote-15))

**النقد والبلاغة:**

إن موضوع النقد والبلاغة هو الأدب، وعليه فلا يختلفان في الموضوع، وإنما يختلفان من حيث المعالجة وطريقة العرض، فالبلاغة لا تعنى بالصلة بين الأثر الأدبي وصاحبه ولا تعني كذلك بالقيم العقلية والعاطفية في النص، وإنما تعنى بنظرية الأسلوب وخصائصه وما يحتوي من مجازات وكنايات، ولذلك فهي تصف وتعلم، أما النقد فيحلل الظاهر والباطن في الأعمال الأدبية.([[16]](#footnote-16))

وفي النقد العربي فإن التأليف في البلاغة امتزج في أول الأمر بالنقد، فلم تؤلف كتب منفردة في البلاغة إلا في نهاية القرن الرابع الهجري، أما قبل ذلك فكان ثمة امتزاج واضح بين مدلول النقد ومدلول البلاغة، كما نرى في كتاب البديع لابن المعتز (296هـ)، وكتاب الموازنة للآمدي (371هـ)، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (395هـ)، والوساطة للقاضي الجرجاني (392هـ)، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (471هـ)... وغيرها.([[17]](#footnote-17))

**تطور النقد العربي :**

لقد كان النقد العربي في مراحله الأولى نقدا تأثريا يعتمد على الانطباع الذاتي البحت، دون اتكاء على عمليات ذهنية موجهة، أي دون أسس نظرية، ثم جاء العصر الإسلامي فنما النقد ونهض الشعر، واختصم الشعراء حول هذا الدين الجديد، ولما تقدم القرن الأول قويت نهضة الشعر، ونما وازدهر في العصر الأموي وذلك في ثلاث بيئات: (الحجاز، العراق، الشام)، أما عداها كفارس ومصر والمغرب فلم يزدهر فيها في هذا العصر أدب ولا نقد.

وتبع النقد مجريات الحركة الأدبية فاتجه أكثره إلى التفضيل بين الشعراء خاصة بين جرير والأخطل والفرزدق.

ويتلخص أن النقد حتى العصر الأموي لم تظهر فيه مدارس نقدية واضحة المعالم، وأن النقد ظل قريبا مما كان عليه في الجاهلية قائما على الذوق جزئيا غير معلل في كثير من الأحيان([[18]](#footnote-18))، ولما جاء العصر العباسي ظهرت ثلاث طوائف تنظر في الأحكام النقدية وتناقشها وتضع المؤلفات النقدية، فالطائفة الأولى هي طائفة الأدباء من شعراء وكتاب والثانية طائفة اللغويين التي اهتمت برواية الشعر ونقده كالأصمعي، أما الطائفة الثالثة فطائفة المتكلمين التي أسهمت في تطوير أمور النقد والبلاغة.

ولما جاء القرن الثالث ظهر لنا ابن سلام الجمحي بكتاب طبقات فحول الشعراء، الذي يشير إلى قضايا نقدية كالمفاضلة بين الشعراء والانتحال، ثم الجاحظ بالبيان والتبيين والحيوان، ثم ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء.

وفي القرن الرابع ألف ابن طباطبا عيار الشعر وقدامة بن جعفر نقد الشعر وفيه الأثر اليوناني، فأصبح للنقد أسس ومناهج متبعة، وهذا ما أثمر كتابين جديدين وهما الموازنة للآمدي والوساطة للقاضي الجرجاني، ثم ظهر النقد البلاغي على يد عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة في القرن الخامس الهجري.

هذا وقد ظهر النقد في المغرب والأندلس متأثرا بالنقد في المشرق وظهرت مؤلفات منها العمدة لابن رشيق والعقد الفريد لابن عبد ربه. وهكذا تواصلت المؤلفات حتى ابن خلدون ومقدمته (808 هـ).

أخذ النقد العربي في القرن الثالث الهجري ينزع إلى البحث والتأليف على أيدي ثلة من النقاد وعلماء الأدب، الذين خاضوا في الموازنات والموازين النقدية، كابن سلام والجاحظ وابن قتيبة وغيرهم، ثم بدأت التصانيف تتوالى حتى القرن الثامن في المشرق والمغرب والأندلس.

1. إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 46. [↑](#footnote-ref-1)
2. إبراهيم صدقة: التأثرية و النقد التأثري عند محمد مندور، رسالة ماجستير، إشراف: عدنان يوسف سكيك، المعهد الوطني للتعليم العالي في اللغة العربية وآدابها، باتنة، الجزائر، 1986، ص 22. [↑](#footnote-ref-2)
3. المرزباني: الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء تح، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995، ص 94، 95. [↑](#footnote-ref-3)
4. المصدر نفسه، ص 93. [↑](#footnote-ref-4)
5. حبر: مفردها حبرة وهي ملاءة من الحرير كانت ترتديها النساء في مصر عند خروجهن. [↑](#footnote-ref-5)
6. خرزها: الخرز، الخياطة، والمزادة وعاء يحمل فيه الماء في السفر. [↑](#footnote-ref-6)
7. المرزباني: الموشح، ص 93. [↑](#footnote-ref-7)
8. ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، دار الجيل، بيروت، ج1، ط 5، 1981، ص 98. [↑](#footnote-ref-8)
9. عمر عروة: دروس في النقد الأدبي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص 61. [↑](#footnote-ref-9)
10. ابن سلام الجمحي: طبقات الشعراء، دار الكتب العلمية،بيروت،2001،ص 155. [↑](#footnote-ref-10)
11. شوقي ضيف: النقد، ص 39. [↑](#footnote-ref-11)
12. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج 3، ط 3، 1994، ص 425، 426. [↑](#footnote-ref-12)
13. شوقي ضيف: النقد، دار المعارف، مصر، ط 4، 1979، ص 09. [↑](#footnote-ref-13)
14. شوقي ضيف: النقد، ص 09. [↑](#footnote-ref-14)
15. ينظر: المرجع نفسه ، ص 10. [↑](#footnote-ref-15)
16. ينظر: المرجع نفسه، ص 10، 11. [↑](#footnote-ref-16)
17. ينظر: محمد إبراهيم نصر، النقد الأدبي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1398 هـ، ص 40. [↑](#footnote-ref-17)
18. ينظر: محمد رضوان الداية، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، مؤسسة الرسالة، د ط، د ت ، ص 236، 237. [↑](#footnote-ref-18)